مـــنـــاقـــشـــــات

أحمد المديني بين اللغة المعضلة واللغة الكامله .

الياس ادريس

اذا كانت اللغة [1] داة ايديولوجية فعالة في حركات التغيير التحتية لكتاب الواقعية النقدية الهادفة من وراء النص الفني المطروح الى احداث تغييرات عميقة في المجتمع وبنياته الفوقية والاقتصادية ، واذا كان مفهوم الكتابة ـ ايديولوجيا ـ هو التعبير عن حالات جماعات وأفراد سواء بالطريقة الكلاسيكية المالوفة أم بطريقة مغايرة تستمد قواعدها و[1]ساليبها من الوضـع المعاش والصراع الاجتماعي وحركة الواقع محللا ومركبا لا معكوسا ومحورا فانها ـ أي اللغة ـ تصبح [1]كثر من مجرد اداة ـ اراد ذلك الكاتب ام لم يرده ـ ،اذ تصبح من بين البنيات المهمة التي لا سبيل للاستغناء عنها لفهم النص الادبي . وبالتالي لاحداث التغيير عن طريق الفن . بل وقد تصبح البنية الاساسية في النص الى جانب ذاتية الكاتب وخلفيته الثقافية وغير ذلك (كما يظهر ذلك من خلال كتابات احمد المديني القصصية) .

ونود بادىء ذي بدء ان نشير الى اننا لن نقوم بطرق كل نتاج الكاتب المذكور وسنحاول بالمقابل تحليل نماذج معينة من تركيباته القصصية المعقدة وبذلك نكون قد افسحنا لانفسنا المجال للدخول الى عالم الكاتب المضبب المحاط بكثير من الظلال والاسئلة الحرجة ونقـط الاستفهام أي أن موضوعنا سيكون مدخلا صغيرا لدراسة عالم المديني القصصي ...

والعالم الذي نود الدخول اليه عالم متخيل وقائم بذاته ويكاد يكون منفصلا عن القارىء وهمومه اليومية اذا لم نقل منفصلا عنه بالفعل ، الشيء الذي يدفعنا الى البحث عن طريقة واعية للولوج الى داخله . واظن أن هذه المهمة تحتاج الى « قراءة خاصة لنصوصه » وقد لا نجد القدرة على ذلك عند القاريء العادي وقد يتعامل الناقد مع هذه النصوص بتحفظ كبير وللجانبين الحق في عملية كهذه ذلك أن مغامرة شكلية من هذا النوع يجب أن نحاط بكثير من التساؤلات عن جدواها غير اننا كذلك لا يجب ان ننسى بعض الخصوصيات في الكتابة التي تميز نتاج احمد المديني في الرواية والقصة القصيرة . ولن نؤكد كثيرا على نقطة التميز هذه ما دامت كتابته قد تفاعلت مع كتابات اخرى متقدمة ـ شكليا ـ . وما دام التجريب لا يقف عند حد معين بل يظل كشفا مستمرا عن اصول جديدة من أجل بعث وعي حاد باللحظة الحضارية وبالتغيرات التي يعرفها العصر .. وقد نتساءل عن ماهية القصة ونوعيتها : لماذا نكتب ؟ لمن نكتب ؟ اية كتابة تصلح لمرحلتنا التاريخية الراهنة ؟ كيف يجب أن نكتب ؟ وكثير من الاسئلة المتعلقة بالمتلقي وعلاقته بالمبدع والنص . وقد يرفض الناقد الايديولوجي هذه الكتابات لاهمالها شرطا أساسيا في العملية الابداعية : القاريء .. وقد يقبل البعض المضمون دون الشكل او الفكـرة والموقف دون اللغة والتركيب متناسيا أن القصة وحدة متماسكة لا يمكن تجزئتها الا في حالات نادرة من اجل استقراء الخطوط العريضة التي تميزها عن الانواع الادبية الاخرى . ذلك ان القصة ـ أية قصة ـ يوفر لها كاتبها شكلا ومناخا ملائمين لتعبر عن موقفه تجاه التناقضات التي يزخر بها الواقع .. وهي بهذا المفهوم موقف من الصراع الدائر بين القوى المتناحرة داخـل المجتمع سواء كانت كتابة تقليدية او رومانسية أو تفجيرا عنيفا لطاقات اللغة ـ نموذج المديني ـ أو اداة تغييرية : (واقعية سياسية ـ اجتماعية) نموذج ابراهيم بوعلو ـ ومن اجل هذا كله لا يمكننا تناول نصوص المديني ككتابة بريئة . (اذ ليست هناك كتابة بريئة)

من هنا تاتي أهمية الحديث القصصي والروائي عند المديني ذاك انه لا يمكننا تجاهله كصاحب كتابة تجريبية (رغم توقف عملية التجريب لديه على نوع قائم ..) بدعوات مختلفة.. وسنحاول هنا التطرق لنوعية الكتابة التي تعتمد على اللغة كبنية اساسية لتشكيل عالمه القصصي ومضـامينـــه .

اللغة والماضي : يقف الحديث القصصي عند المديني موقفا مضادا من براءه اللغة (الصمت) حيث يريد لها الكاتب أن تكون موازية في عنفها للعنف السياسي والقهر الذي يعانيه المجتمع على صعيدي الفرد (تمزقات الكاتب : البورجوازي الصغير بين ذاته واضطهاده داخل ومـــع

المجتمع) والجماعة . فيطلق العنان للقصة في الانسياب بعد انتقاد ذكي للكلمات ونحتها مما يجعل القصة عنده تكون شبيهة بالقصيدة النثرية : « أتحير . لا أعلم هل من زمني هذا ابدا لم من زمن آخر أم أترصد وجه الذبح لآونة فتكت وجه الروع وباتت في زمن اخر .. » كما يعمد الى تكسير قواعد اللغة العتيقة وتحطيم علاقاتها المقننة تاركا الجمل تنساب تارة في حديث قصصي هادىء لتنقطع تارة أخرى في احتداد منتهكة بذلك حرمة النوع الكلاسيكي المالوف وهاتكة « بكارة اللغة » كما يقول هو نفسه . ورغم الانتهاك والتدمير للتقديم فالمؤلف لا يملك بديلا موضوعيا (للغة / الوصف) سواء حملته على الماضي وكل ما له علاقة بالماضي الذي أتى بالفساد والشر والاستعمار والتخلف والكبت وترك بصمات واضحة على الجيل الجديد .. (سنعود لهذا الموضوع في دراستنا عن رواية « زمن بين الولادة والحلم) . غير ان هذا الشكل باعتباره نموذجا متطرفا مضادا للوعي الساذج الذي تحمله كتابات عديدة سرعان ما يحكم على نفسه بالسكونية والتقوقع ـ التي يحارب المؤلف من أجل تجاوزها ـ ويرجع ذلك لفقدان العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر، بين الموروث والمعاصر ، ولكونه لا يستفيد من تجارب الاولين المشرقة وبالتالي لا يربط النتائج بالمقدمات بل يكتفي برفض ما قدمه الاجداد رفضا باتا غير موضوعي . ونجد ان لهذا الرفض بعض المبررات التاريخية ابرزها انها ـ اي الكتابة ـ رد فعل ـ مهما كان متمزقا وحادا ـ للمصالح الليبريالية للبورجوازية الوطنية التي كانت ترى أنه من مصالحها الحفاظ على الماضي وتقديمه في اطار مولكلوري براق ناصع عاكس صورة ايجابية (مفرطة في الايجابيه) لحياة السلف الصالح.

كتابة المديني اذن ومن هذا المنظور رد فعل للنظرة المتخلفة التي تبكي الماضي ولا تؤمن باي تقدم دون الرجوع الى « الاصل » (أي التراث السائد : الرجعي غالبا) وتضبيقه على حياتنا المعاصرة ـ رغم الاختلافات الزمنية ـ تطبيقا آليا دون اية محاولة تجديدية طبقا لمتطلبات الحياة الجديدة وتبعا لذلك يقوم اصحاب هذه الفكرة بتحريف مشوه للتراث االعربي في اكثر جوانبه اشراقا ويكيفونه مع مصالحهم الليبرالية البورجوازية الاحادية الجانب ..

من هنا تتكرر مأساة الانسلاخ عن الجلد (الماضي ـ السلف) عند المديني « وددت ان تسلخ عنك جلدك . حاولت ذلك مرة . أنتحيت مكانا خاليا وشرع يخلع عنه جلده بحيطة وحذر حتى لا يمسه خدش أو تمزيق . اقتلع شعر رأسه واهدابه وحاجبيه وما تحت ابطيه ووفره للملمات . ونزع الجلد كله اخيرا وحمله وكان الدم ينزف وشهد الناس . وجاء المزاد ونشره بين الاردية والمعروضات الاخرى وحين لم يساومه أحد وحين لم يبهت الخلق أو يصبهم الذعر او القرف ، اخذ يطلب اي ثمن مقابل اي شيء .

لم يكن الوحيد اذ ها هي ذي سوق بأكملها لسلخ الجلود الادمية . حينئذ تقدم يطوف برأسه بين الناس وسال من يشتري جلدا بلحم بشري ، مخلوقا ادميا بنصه وفصه وتمام خلقته كما خلقه عز وجل ! أيها المومنون القانتون الساجدون اطالب ببيع رقبتي ها انذا فتى طري العود عريض ضخم اصلح لكل ما تريدون وتشتهون مطيع خدوم ومعطاء . تاملوا هذه الطراوة والنعومة تاملوا هذه البدانة هذه .. كان عاريا تماما وكانت الارض قد عجنت بالادميين من صنفه والفضاء خراب ومن الخلف فراغ ومن الامام فراغ ولم يطلع بعد انسان جديد » (.. من قصه « لا نطابق » ـ اقلام المغربية) وتتحول فكرة الانسلاخ عن الجلد هذه شيئا فشيئا الى مشروع عملي يبدأه الفرد وتشاركه فيه الجماعة التي ترفض الماضي ولا يبقى لها منه سوى ذكريات قليلة مشوهة « استوقفوني عند نقطة الحدود عند شقة تاسيس عمراني جديد وسالوني لماذا اطلب الهجرة قلت « انه الخروج من الارض وقبلا خرجت من جلدي وذاكرتي تابي أن تخرج مني » في المقابل هناك فكرة ملحة في التجاوز والانعتاق « اكنسجيني . انطلقي خارج وثائق التآمر المحبوك ، خارج الجرح وأحزان المناحة . كلي واشربي من العهد الآتي » (المفرد والمثنى) .

تحتد اللغة فتخرج الاحداث والشخصيات ـ عند ما توجد ـ عن منطقيتها وعقلانيتها وتصبح اللغة فعلا واسعا للادانة . ادانة الجد والسلف ، ادانة التاريخ والماضي الذي اتى بالتخلف والقهر . وادانة كاملة للذات والاخرين تبلغ حدود اليأس والقتامة والاستسلام « بصوت مزدحم النبرات مكتسح بانغام الهزائم والسبات العميق مشدودين كنا مشدودين صرنا مشدودين مـا نزال اليك مولانا وسيدنا لا طاقة لنا بدونك انت السيف ونحن الاحشاء الممزقة انت الكل انت الواحد أنت الجمع وانت المفرد . مسرعين مقبلين مدبرين ركضا زحفا هجمة ويقظة ارفعوا الاعلام وهللوا له بالنصر المبين وانثروا له القبلات » « تكوين »

« وفوق كل شيء كان الناس منشغلين بأنفسهم عن الدنيا واوصافها وهرجها ومرجها وصداعها وسياستها واقتصادها واجتماعها وخورها » (تكوين) .

« هيا استعدوا للخروج ، للعراء ، فانا اتلطف معكم . لا تتهامسوا لا تتشاوروا متى كنتم امة للتشاور والمشورة خسئتم ، أمة لتحقيق العلم المبرح وسماع النشيد الوطني المبرح وشرب

الشاي المبرح » (المفرد والمثنى) .

اللغـة الكاملـة واللغـة المعضلـة :

أن رفض الماضي رفضا باتا وفوضويا وارادة الانسلاخ عنه كما راينا ستؤديان حتما وضرورة لرفضه الحاضر نظرا للترابط الجدلي بين ما يوجد في حاضرنا وما ينتمي للماضي باعتبـار أن الحاضر امتداد طبيعي للماضي وان كل مرحلة مرت في تاريخ الانسانية تمثل عددا من التجارب والتطورات ومن اجل ذلك لا نستطيع ان نفصلها عن باقي المراحل الاخرى لا لانها استمرار لمراحل تاريخية مختلفة ذات خصوصيات مختلفة فحسب بل لانها أساس الحقب الاتية ـ مهما تميزت بخصائصها ومهما كان تطورها الداخلي ـ لذا نرى ان الحمل على حقبة تاريخية معينة (الماضي هنا) لن يفيد العصر الراهن في شيء ما لم تنظر الى تلك الحقبة على انها مجمل التطورات التي وصلت اليها أمة ما وما لم نميز بين ما هو سيء فيها وما هو جيد .. أما الرفض القاطع للماضي فقد ادى في مرحلة معينة من تاريخ الامة العربية ، او بالاحرى ادى باليسار العربي في مرحلة معينة الى الفشل على كافة الاصعدة : السياسية والاجتماعية ... وكان عليه أن يعيد نظرته الـى الماضي والتراث العربي .. وهذا ما نشهده في الوقت الراهن عند بعض الكتاب التقدميين ولا سبيـل للتطـرق لذلك هنـا .

والقطيعة بين الموروث والمعاصر قد ادت بالبورجوازية الصغرى الى انعزالها وتقوقعها وسكونيتها وصمتها وحيادها بل وتزكيتها احيانًا للمد الرجعي في كثير من الاقطار العربية ، والاهتمام بهمومها الذاتية والشخصية وعلاقاتها مع الطبقة السفلى وهذا ما يشير اليه احمـد المديني « انا الآن اتآكل في صمتي واقتات من دوخة الذاكرة ومن سفر الريح المشروخة الى الذاكرة وأمن على الحشد الغفـل بالقص والحكايــة فـاي حكـايــة تـريـدون ؟ » « وحيــن يلغــط النــاس انشـر قـلاع صمتــي واترصد وقـت خـروج الحكمـة » وهنـا اعترافـه عميــق بالصمت الذي يخيم على المثقف ومدى تزكيته للوضع الفاسد عن طريق القص والحكاية (ولية حكاية) عوض التنبيه والتحريض خصوصا في هذه المرحلة المهمة التي يجتازها الوطن العربي.. غير أن هناك بالرغم من كل شيء فكرة مهما كانت تعميمية تود الانطلاق والخروج من الصمت واعلان العصيان صراحة ورفع راية الاحتجاج والتمرد عوض الاستسلام لزمن المجيعة »

« عبروا مع خيوط الفجر الاولى وحسبتهم يتحدثون معها : ليسوا من البشر وليسوا من غيرهم ولكنهم ضياء يسطع فوق الشمس » « عبروا هل كانوا ستة هل كانوا سبعة هل كانوا امة هل كنا سنابك خيل التاريخ المرصودة بالاعدام) تكوين)

وعبر اللغة / الاداة (التي تمزق الحواجز بين الممكن والمتخيل وبين علاقات اللغــة وتتفجر على شكل غريب وعنيف) تصل القصة (اللغة) الى ذروة التفجر ـ لتلخص حافزها الاساسي في هتك استار اللغة / الوصف « انا لم ابدا من خارج الصمت ـ اللغة ـ هتك الاستار واستفزاز لنعيم السلالة . اللغة تختبيء فيك وحين يصهل فيك الاطلس الموفوف وتنعتقين من حضرة الاوجاع تجيء معا في طوفاننا حين يفيض منك ام الربيع ونجلس ، معا ، سويا جميعا أيها السادة ونتحدث اللغة المعضلة » .

اذن متى تتكلم اللغة الكاملة ؟ هل « ننتظر ان يخرج المجتمع من التخلف ؟ امنعبر عن حالة مجتمع جديد لم يولد بعد ؟ ... بيد ان على الكاتب ان يشارك في صنع المجتمع الجديد الذي تحلم به الجماهير .. وفي انتظار ولادة هذا المجتمع على المثقف ان يتحمل مسؤولية التعبير « المرحلي » عن قطاعات عريضة معرضة للابادة في الوقت الراهن .. افترى المديني يفعل ذلك ؟

فـ . س
يوليو 77

ملاحظات أولية حول كتاب « التطورات السياسية في المملكة المغربية

العربي الحداوي

تأليف : دوجلاس آي اشفورد ـ ترجمة : الدكتورة عائدة سليمان عارف ـ الدكتور مصطفى ابو حاكمة . دار الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ـ 1963 ـ
(قطع كبير ـ 670 صفحة) .

حول التأليف والمؤلف :

1 ـ المؤلف يذكر انه موظف في « جهاز حكومي » تخلى عن وظيفه « التي يضمن له دخلا لعدة سنوات من أجل انجاز مؤلفه . لا يذكر شيئا عن هذا الوظيف في حين أن التعريف به في لائحة التعريفات لا يذكر عن المؤلف حتى هـذه المعلومة بعموميتها التي يذكرها في مقدمته للقارىء الامريكي طبعا . .

2 ـ انه اعتمادا على مقدمة المؤلف يتضح أن المؤلف شبه جماعي ساهم فيه العديد من الاشخاص بالمراجعة والتنقيح ولكن لا نعرف عنهم شيئا رغم ذكره أسماء بعضهم في المقدمة .

3 ـ ان من وراء تمويل ، ومن ثم توجيه المؤلف ، العديد من المؤسسات المشبوه فيها ومنها « فورد » ودار فرانكلين التي مولت حق ترجمته للعربية الى جانب أخريات ذات صبغة « أكاديمية » . ولكن لعلمنا بالعلاقة الوطيدة في النظام الامريكي بين مختلف المؤسسات الجامعية و « العلمية » والدولة على جميع المستويات ليمنعنا من اعتبار الدافع « الاكاديمي » كعامل مباشر بـل على العكس فالتوجيه السياسي والمخطط يوجد وراء كل أعمال هذه المؤسسات والاشخاص .

ظـروف التأليف :

ان المرحلة التي أنجز فيها المؤلف تتميز باتجاه السياسة الامريكيـة أكثر فأكثر نحو بلدان الشرق ومنها العربية منافسة في ذلك المراكز القديمة والتي كانت حكرا للامبرياليتين الفرنسية والانجليزية . فهو من ثم لا بد ان يكون خاضعا لها وخادما لمخططاتها في البحث عن مناهج ومنافـذ للتسـرب والنفـوذ .

هـامـش :

1 ـ يذكر المؤلف انه أعتمد في جمع المعلومات الى جانب مغاربة وأعضاء سفارة بلده على فرنسيين « قاطنين في المغرب » طلبوا عدم اعلان أسمائهم ، ولا بد أن لهذا الامتناع دلالة في الاطار السابق .

2 ـ يركز المؤلف في مقدمته على شخصين من بين المغاربة الذين اتصل بهم يذكرهما وحدهما بالاسم (اليزيدي ـ بن بركة) ولا بد ان لهذا الذكـر دلالة ترقى على أهميتها من ناحية المعلومات .

حـول المنهـج :

1 ـ أهم دعوى للمؤلف تسري لديه في ثنايا كل السطور هي القول بانه لن يقيم بقدر ما سيصف وينقل الواقع كما هو ، والدعوات « الاكاديمية » من هذا القبيل واضحة الغرض وهذا المفهوم للعلم الاجتماعي معروف ما بخفيه في ثناياه من « ايديولوجيا » ، اذ ليس هناك وصف خالص بدون تقييم مطلقا فدائما هناك المواقف المسبقة والمنطلقات الاساسية فضلا عن اضطرار صاحب الدعوى بين الحين والآخر للخروج و « الانزلاق » من « أسلوب » الوصف الى

اتخاذ مواقف وآراء وحتى اقتراحات وانتقادات تقييمية خالصة . ان لاسهام لا يمكن أن ينطلي على المحلل حتى لو أوغل صاحبه أسلوبيا في الوصفية والحياد .

2 ـ مفهوم صوري ـ شكلي للعلوم السياسية كوسائل للتقريب وللفهم وصفية لا تعكس بالضرورة واقعا بصورة مباشرة ولا احتمالاته الغائية ولا تقييمه يقف من الظواهر مواقف خارجية حيادية من أجل ان لا يحللها أو يتعمق مدلولها التاريخي (اقتصادي ـ اجتماعي) موقف لا تاريخي .

3 ـ وفي النتيجة سقوط في التبرير فكل واقع يكتسب شرعية وجوده ومن ثم استمراره من مجرد كونه واقعا « عنصر القوة » وبالتالي علينا ان لا « نتعسف » عليه بالنقد أو غيره بل ان نكتفي بوصفه كما هو أي (قبوله) كما هو وتأكيده وتدعيمه والدعاية له ، فالحق مع الجميع وما كان بالامكان غير ما كان . ان هذا هو الموقف الايديولوجي المسبق للكاتب وراء منهجه الحيادي « الموضوعي » « الوصفي » « العلمي الاكاديمي » الخارجي .

4 ـ واخيرا يسقط هذا المنهج في اغراق القارىء في الجزئيات الصغيرة وبحر من المعلومات التي لا نهاية لها ولا حصر فلا يستطيع الخروج بصورة محددة أو حقيقية مضبوطة الا ما أراده له الكاتب في الثنايا من الحين الى الآخر ، غابة من الواقع لا خريطة لها ولا نظام يضبطها ولا قوانين يمكن اعتمادها في السير وسطها للتعرف على حقيقتها ، انه تجهيل للقارىء في صورة وهم بالتعرف والمعرفة لـ « الاشياء الصغيرة » وأشياء الحكايات غير التامة .

فالاحداث تترى دون سبب ظاهر ونفس الظروف قد تولد العديد من الظواهر المتناقضة (فوضى) أي انعدام امكانية (العلم) بالواقع الاجتماعي والسياسي عمليا .

5 ـ كثرة التعميم والنقص في المعلومة أو المعلومات (البتر) ـ والسقوط في تناقضات أحيانا ـ وتقديم مقترحات مرة مرة عرجاء شوهاء توضح فقط حقيقة دوافع المؤلف .

المضمون :

ـ اعتماد فترة الانتقال (استثنائية) قاعدة ومجالا للخروج بخلاصات نظرية عامة .

ـ الانطلاق من مفهوم محدد لكيفية سير النظام السياسي والدراسة على أساسه واعتبار أن الاتجاه ماض اليه وحده وليس هناك من احتمال لاتجاه آخر (اسقاط النموذج الامريكي الرأسمالي والتقييم انطلاقا منه) .

ـ اعتبار الدولة (نظريا) كعنصر رئيسي في المسألة القومية بل الوحيد ومن ثم المفهومين (الدولة / الامة) لدى المؤلف .

ـ ربط النشوء القومي بمرحلة وحسب من التاريخ (بداية الاستعمار) دون الانتباه (ولهذا دلالته) الى البدايات الاولى خلال القرن السابق وان ذلك

يعني طمس تاريخ النضال والنهوض القومي الاصح وابراز تاريخ نشوء « قوميتنا » في ظل المرحلة الاستعمارية بالاساس (مصادرة استعمارية لتاريخنا تابعة للمصادرة الاقتصادية والسياسية) .

ـ نهض والغاء للتحليلات الاجتماعية والطبقية لحساب الوصف على اساس « الجماعات » أو عناصر القوة والنفوذ المختلفة والتي منها الاشخاص أحيانا ـ بل فوق ذلك فهو يقول بأنه سيهتم بالجماعات والشخصيات « الثانوية » ، وهذا يوضح حين يأتي بدون تفسير مقنع نوعا من غرضيات الكاتب المسبقة التي لم ولن تجد لتأكيداتها سندا الا في الثانوي حقا والجزئي الهامشي العارض، أما الرئيسي المؤثر (الطبقات مثلا) فيهمش ويصبح ثانويا ـ

ـ التحدث عن الحكم كشخص مفرد بمثل نفسه والاعضاء الكلي والمطلق عن الطبقة ـ اعطاء هذا الاخير أهمية كبيرة جدا تفوق أهمية أي قوة ازاءه .

ـ الحديث عن كون روح المقاومة **الوطنية** لم تبرز الا بعد 1936 وهذا يعني تنقيصا من أهمية ثورة الريف مثلا التي كانت فيها بداية تلك « الروح » من المرحلة الاستعمارية ، وكذا نسيان انبعاث تلك الروح خلال القرن السابق بمفهوم وأفق قومي حقيقي وأوسع « العروبة » .

ـ الحديث عن قومية مغربية معزولة عن روابطها العربية .

ـ تاثير للنظرية الديموغرافية في تفسير الاوضاع (السكان أكثر من الارض) .

ـ فرنسا خدمت المغرب وهيأته الاستقلال مع انتقاد بعض النقص في عملها .

ـ الحديث عن مميزات ثابتة وصفات مميزة للمغاربة (انتربولوجيا) .

ـ تقديم النصائح ذات الطابع الاستعماري .

المنهج العام والخلاصات :

الكتاب ينطلق من مقومات نظرية في علم السياسة المقارن مدعيا ان ادوات هذا العلم النظرية بالاضافة الى ضعفها فهي بصورة مخصوصة تعجز عن تفسير الشروط الخاصة بالبلاد الحديثة القومية ومجهود المؤلف اذن ليس من أجل دراسة المغرب بالاساس وانما لدراسة الشروط في هذه البلدان الحديثة عموما متخذا التجربة المغربية ميدانا تجريبيا مناسبا لهذا المجهود الذي يراعي العام دون الخاص في التجربة ، ما هو مشترك ليس فقط بين هذه البلدان الاخرى بل بينها وبين العالم القديم باحثا عن سبيل له في ذلك عن طريق دراسة السلوك السياسي لمصادر النفوذ والقوة التي تشكل النظام السياسي ، الاشكال والمشاكل التي تتجلى في كل ذلك .

ـ الكتاب يتخذ مواقف نقدية دقيقة وصريحة بين الحين والآخر للاستعمار الفرنسي أو مختلف القوى السياسية الاخرى بما فيها الحكم .

ـ يأتي الكتاب في مرحلة صراع الامبرياليتين الامريكية والفرنسية /

الانجليزية حول المنطقة .

الخـــلاصـــة :

ان تأليف الكتاب تعبير عن مطامح امبريالية أعتى للاستحواذ على المنطقة مجليا عنها الامبريالية القديمة ، متخذا له أساليب في العمل جديدة ، وهو في هذا محتاج الى معرفة أكثر ما تكون دقة وموضوعية بالاحوال الخاصة بالمحل المعني أو العامة بشعوب المنطقة عموما وهو طبقا لهذا الغرض يلتقي موضوعيا مع أي باحث جاد وذكي يستطيع صياغة تحليل أوفى وأكثر دقة حول الموضوع المعين من أجل هذه الغاية سيعقد معه صفقة لا يهمه فيها ما قد تجره « موضوعية » الباحث وصراحته من « تطرفات » وتجاوزات أحيانا . ان ذلك الجانب سيعرف كيف لا يقرأه بتاتا ، أما ما يهمه حقا فسيستفيد منه خير استفادة عمليا .

وهكذا يمكن اعتبار الكتاب نتاج التقاء موضوعي بين نزعة الباحث نحو الدرس والبحث « الاكاديمي » ـ بمفهومه للاكاديمية على كل حال ـ وبين مصالح الامبريالية الامريكية ، وهذا هو ما يفسر ذلك الالتقاءوما يفسر أكثر قوة ذلك المجهود المضني حقا الذي بذله المؤلف وهو الى ذلك دراسة نموذجية لتجربة (الديمقراطية) الليبرالية في شروط العالم الثالث والدليل الملموس على مدى فشلها المطلق . لا يسأل لماذا ؟ حقا من خلال الجذور الاقتصادية والاجتماعية (الا لماما) ولكنه من خلال دراسته أشكال وأطر العمل السياسي في البناء الفوقي) يظهر هذا الفشل وينتهي اليه في خلاصات دون اقتراح مخرج ما . وليس مؤهلا للتعرف حقا على ذلك المخرج .

ان ما بقي هاما من الكتاب هو جملة معلوماته المفيدة نسبيا أمام شبه الفراغ . والتي يجب اعادة صياغتها وطرح أسئلة من حولها لتتميمها وتعديلها . ان كانت قد شوهت... الخ والاستفادة من كل ذلك في الخروج بالخلاصات الضرورية الى جانب بعض ملاحظات وانتقادات عابرة أحيانا أو مركزة تستحق الانتباه والاستفادة .

اما المنهج العام للكتاب والنظرية التي يستبطنها فلا يستحقان الا الرفض .

العربي الحداوي ـ البيضاء